قراءة نقدية في ومضة "بندقية" لجمال الجزيري

عباس طمبل، السودان

النص: بندقية

رسم دائرة حول خريطة وطنه. أشار لفتحات معاندة في جوانبها. سقط دمعته. تحسس بندقيته.

القراءة :

الرسم هو تعبير تشكيلي يستلزم عمل علاقة ما على سطح ما، وهو التعبير عن الأشياء بواسطة الخط أساساً أو البقع أو بأي أداة. قد نجد في هذه الومضة القصصية، ومن الملاحظ أن الراوي استعمل الفعل الماضي (رسم)، دائرة لأنها من الأشكال البسيطة التي قد ترمز للانسجام والتناغم، والرقة والحساسية.

نظرية حديثة وضعتها الدكتورة «سوزان ديلينجر» Suzan Dellinger وشرحتها في كتابها: «التواصل رغم اختلافاتنا» قد تساعد الباحث، أو القارئ في كيفية تعامله مع

الآخرين وكيفية التعرف على شخصيته وشخصيات من يتعامل معهم.

ووضعه لخارطة وطنه داخل هذه الدائرة، قد يعبر عن محاولة الشخصية المحورية المستميتة في البحث عن مخرج لجدلية الوجود والهُوِية، التي إذا حدث لها ضياع أو تشرذم ستدخل الإنسان في صراعات وجودية عميقة، نظريًا هو لا يملك بأي شكل من الأشكال، إلا أن يدافع عنها إلى آخر نفس في حياته، فالأزمة في معظم بلدان الوطن العربي هي أزمة وجود في الأساس، وليست أزمة نخب سياسية تريد تكريس مبدا الصوت الأوحد، وتسعى بشتي السبل لخلق خطاب فوقي طبقي استعلائي رافض للآخر، وبما أن الراوي عربي الجنسية لذلك قد نسقط الثقوب الموجودة في جوانبها للهوامش وأطراف الأوطان العربية التي دائمًا ما تعاند مشكلاتها المراكز من افتقار لأبسط مقومات العيش وإهماله بقصدٍ، أو بغير قصد، فقد سقطت دمعته، ربما تعبر عن حسرته بأنه لا سبيل غير الطريق الصعب، وهو حمل السلاح الذي يشكل الحل الأمثل للتعبير عن المطالب، وهو

في الغالب أقصر طرق لفت الانتباه والاستجابة السريعة للجلوس في طاولات الحوار، أو قد يعبر عن ألمه لما آل له حال وطنه من صراعات ونزعات مشتعلة في بؤرة الصراعات بأطرافه.

البداية هنا قد تكون حدثية والنهاية أيضًا حدثية، فالرسم وتحسس البندقية قد يدلان على القدرة على إيصال أي رسالة: إما الاحتجاج على التهميش المتعمد، إما الزود عن تراب ووحدة الوطن.

مكان الحدث هو مكان غير معلوم في النص، لكن قد نستدل عليه من سياق النص، إنه مجتمع يعاني التشرذم والتشتت، أو مجتمع مترابط يحب وطنه ويزود عن أرضه ولا يخشي تقديم النفس في سبيل الحافظ على وحدته.

زمن الحدث هو الزمن الماضي غير المحدد، لكن العنوان (بندقية) قد يدل على أن هذا المجتمع سيدفع ثمن تكريسه للغة البندقية كأخذها وسيلة واحدة للتعبير عن أي مطالب من المطالب الشرعية، أو رفض فئة من فئاته للنزعة

الاستعلائية وعدم قبوله كآخر يستحق العيش وفق مبدأ الحرية والعدالة الاجتماعية، وهو زمن يعيش في الراوي.

أسلوب السرد في الغالب أسلوب خارجي، فالومضة القصصية مروية بضمير الغائب المفرد، فعند تحسس البندقية يمكن لأي شخص أن يرى الشخصية في هذه الوضعية، لذلك هذه الشخصية التي نستدل عليها من السياق بسمة من سماتها قد تكون شخصية وطنية نبيلة تحب وطنها، أو شخصية مهمشة تريد استرداد حقها المغتصب عنوة.

العنوان (بندقية) عنوان محايد تمامًا قد لا يشي بمضمون النص، ويفهم المتن بعيدًا عنه، وربما أراد الراوي توضيح أن المجتمعات العربية أصبحت لغة العنف هي اللغة السائدة في معظم بلدانها خصوصًا بعد الربيع العربي، الذي هب عن معظم الأوطان العربية وساهم في دمارها بشكل كبير، فما حدث في سوريا وليبيا واليمن ومصر وتونس وما يحدث أيضًا في السودان والصومال والكثير من البلدان العربية خير دليل على ذلك.